مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد العشرون - المجلد الرابع - التاريخ - كانون الأول 2022 م
doi.org/10.52866/esj.2021.04.20.05

أثر العوامل المناخية (المياه) في الفتوحات الإسلامية في جبهة الجزيرة العربية حتى نهاية العصر الراشدي

خميس راشد عبود محمد

مستخلص:

لأن جغرافية الفتح الاسلامي لم تكن على شكل واحد من حيث التضاريس والمناخ الذي يسودها والمياه المتواجدة فيها لذا كان لتلك الاثار الجغرافية لمحات مختلفة بين منطقة واخرى وهي مبثوثة في طي الكتب التي اختصت في المعارك التي خاضها المسلمون العرب منذ اول معركة قادها الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وحتى نهاية عصر الخلافة الراشدة وكان المسلمون في كل جبهة من جبهات الفتح يواجهون عوامل جغرافية متباينة . فكان عنوان بحثي: أثر العوامل المناخية (المياه) في الفتوحات الإسلامية في جبهة الجزيرة العربية حتى نهاية العصر الراشدي، وقسمته إلى أربعة مطالب، المطلب الأول: الأمطار والسيول، المطلب الثاني: اتجاه الريح والشمس، المطلب الثالث: الجفاف، المطلب الرابع: مياه الآبار، ومن الله التوفيق.

الكلمات المفتاحية، التاريخ الإسلامي، السيرة النبوية، الإسلام، العوامل المناخية، المياه .

The impact of climatic factors (water) on the Islamic conquests On the front of the Arabian Peninsula until the end of the Rashidun era

Khamees Rashid Abboud

Abstract:

Because the geography of the Islamic conquest was not in one form in terms of the terrain, the climate that prevails and the waters present in it, so those geographical traces had different glimpses from one region to another, and they are spread in the folds of books that specialized in the battles fought by Arab Muslims since the first battle led by the Messenger Muhammad (may God bless him and grant him peace). Peace be upon him) and until the end of the era of the Rightly Guided Caliphate, Muslims were on every front of the conquest facing different geographical factors. The title of my research was: The impact of climatic factors (water) on the Islamic conquests in the Arabian Peninsula until the end of the Rashidun era, and I divided it into four demands, the first requirement: rain and torrents, the second requirement: the direction of the wind and the sun, the third requirement: drought, the fourth requirement: well water And from God is success.

Keywords, Islamic history, biography of the Prophet, Islam, climatic factors, water .

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإن دراسة السيرة النبوية والخلافة الراشدة وما يتعلق بالفتوحات الإسلامية من المواضيع التي استهوتني ونالت اهتمامي خلال دراستي الجامعية (بكالوريوس) وما بعدها في حقبة ممارستي التعليم الثانوي لما لهذا الدين من أثر على أمتنا جمعاء بما فيه من دروس وعِبر في كيفية انتشاره ودور القادة والمقاتلة في نشره وتحرير الأرض وإعلاء كلمة الله تعالى .

ومن الأسباب الأخرى التي حفزتني لهذه الدراسة ان هناك عدداً من البحوث والدراسات والكتب التي اختصت بتأريخ العرب العسكري بدءاً بحياة الرسول محمد ﷺ وحتى نهاية الدولة العباسية على أيدي المغول سنة 656هـ/ 1258م، وقد تحدثت عن فتوحاتهم وأبطالهم دون ايلاء العوامل الجغرافية ذكراً مهماً في تلك الفتوحات.

ولأن جغرافية الفتح الاسلامي لم تكن على شكل واحد من حيث التضاريس والمناخ الذي يسودها والمياه المتواجدة فيها لذا كان لتلك الاثار الجغرافية لمحات مختلفة بين منطقة واخرى وهي مبثوثة في طي الكتب التي اختصت في المعارك التي خاضها المسلمون العرب منذ اول معركة قادها الرسول محمد ﷺ وحتى نهاية عصر الخلافة الراشدة وكان المسلمون في كل جبهة من جبهات الفتح يواجهون عوامل جغرافية متباينة .

فكان عنوان بحثي: أثر العوامل المناخية (المياه) في الفتوحات الإسلامية في جبهة الجزيرة العربية حتى نهاية العصر الراشدي، وقسمته إلى أربعة مطالب، حسب أنواع المياه، وعلى النحو الآتي: المطلب الأول: الأمطار والسيول، المطلب الثاني: اتجاه الريح والشمس، المطلب الثالث: الجفاف، المطلب الرابع: مياه الآبار.

وقد استعنت بمصادر ومراجع مهمة في كتابة البحث، وتوصلت إلى نتائج أوجزتها في نهاية البحث، مع ملخص باللغة بالإنكليزية. ومن الله التوفيق.

المطلب الأول

الامطار والسيول

كان لمياه الامطار والسيول اثر على سير بعض المعارك التي وقعت في شبه الجزيرة العربية، اذ كان تأثيرها واضحا على نتائج عدد من المعارك، ففي غزوة بدر سنة 2هـ/ 624م، ساعدت الامطار على تحقيق النصر على المشركين، وذكرت اغلب المصادر التاريخية[1] ان هطول الامطار الغزيرة ليلة المعركة، قد اثرت على جبهة العدو اذ حدت من حركته، بسبب وحولة الارض، في حين ساعد المطر في جبهة المسلمين على ازالة الغبار وتلبيد الارض، فقد جاء في رواية الواقدي ما يوضح ذلك بقوله :»وبعث الله السماء وكان الوادي دهسا فاصابنا ما لبد الارض ولم يمنعنا من المسير واصاب قريشا ما لم يقدروا ان يرتحلوا منه»[2].

ولكي نصل الى حقيقة ذلك، علينا ان نصف ارض المعركة التي نزل عليها كلا الجيشين، ومدى تأثير مياه الامطار عليها، وهي كما يصفها الواقدي بقوله «نزل رسول ﷺ بالعدوة الشامية ونزلوا بالعدوة اليمانية»[3] ويؤكد ابن هشام ذلك بقوله «ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل[4]،

(1) المغازي، 1/ 54 ؛ السيرة النبوية لابن هشام، 2 / 620 ؛ الطبقات الكبرى 2 / 15؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك 2 / 425؛ الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، 5 / 97 – 98، الكامل في التاريخ، 2 / 122.

(2) المغازي ج1 ص54.

(3) المغازي، ج1 ص56.

(4) (العَقَنْقَل) : الحَبْل الْعَظِيم من الرمل يكون فِيهِ حِقَفة وجِرَفة وتعقُّد. جمعه عقاقيل. تهذيب اللغة: 3/ 239 باب العين

وبطن الوادي هو يليل بين بدر وبين العقنقل الكثيب الذي خلفه قريش»[1].

وفي هذا قال تعالى ﴿**إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ**﴾[2] وقد فسرت الآية السابقة ساعة نزول الرسول ﷺ جهة الوادي باتجاه المدينة ونزلت قريش جهة الوادي الاخرى التي هي باتجاه مكة المكرمة[3].

فكان المطر نعمة وقوة للمسلمين وبلاء على المشركين، ففي جبهة المسلمين ساعد المطر على اطفاء الغبار وتلبيد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام والحوافر حتى لاتسوغ في الرمال[4]. وفي هذا قال الله تعالى: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ**﴾[5]، وقد فسر الطبري الاية قد انعم الله على المؤمنين بالنعاس بغشى عيونهم ليدخل في نفوسهم الامن بعد الخوف، وقد نزل المسلمون بعيداً عن الماء ، فأنزل الله عليهم المطر ليطهرهم، حيث التقوا مع عدوهم على رملة هشاء فلبدها المطر حتى ثبتت عليها اقدام المسلمين[6].

ويبدو مما تقدم ان المشركين قد نزلوا بضفة الوادي الجنوبية خلف تلة من الرمل (الكثيب) وامامهم بطن الوادي، بينما نزل المسلمون على مقربة من ضفة الوادي الشمالية ومع ان طبيعة ارض الوادي لينة الا انها غير موحلة عند هطول الامطار، في حين تختلف طبيعة الارض المحيطة بالوادي من الشمال بعض الاختلاف في سفوح الوادي الجنوبية، فبينما تتلبد الارض فيسهل السير عليها في القسم الشمالي نجد الامر عكس ذلك في جنوب الوادي حيث تصبح الارض موحلة فيتعذر المسير عليها[7] وبذلك اثرت الامطار تأثيراً مباشراً على جيش المشركين.

وفي سنة 8/ هـ 629م ارسل النبي محمد ﷺ غالب بن عبد الله الليثي[8] في سرية الى بني الملوح بوادي الكديد[9] وامره بالغارة عليهم[10]. فسارت السرية وعند المساء وصلت وادي الكديد اذ كمن المسلمون في ناحية الوادي فامهلوا العدو حتى اقبلت ماشيتهم فحلبوها واطمأنوا عليها، فشن افراد السرية الغارة عليهم عند الفجر ويصف جندب بن مكيث الجهني الذي كان احد افراد السرية تفاصيل الاحداث التي وقعت فيها وما للطبيعة من اثر في نصرة المسلمين بقوله "فشننا عليهم الغارة فقتلنا منهم واستقنا منهم النعم ورجعنا سراعا واتى صريخ القوم فجاءنا مالا قبل لنا به حتى اذا لم يكن بيننا الا بطن الوادي من كديد بعث الله السماء من حيث شاء سحابا ما رأينا قبل ذلك مطرا مثله فجاء الوادي بما لا يقدر احد أن يجوزه، فلقد رأيتهم

والراء وما بعدها من الحروف.

(1) السيرة النبوية، ج1 ص619 – 620 ؛ : تاريخ الطبري، 2 / 439.

(2) سورة الانفال : من الآية 42.

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن 10 / 9 – 10، تفسير القرآن العظيم ، 2 / 314.

(4) السيرة الحلبية المعروفة بإنسان العيون في سيرة الامين والمامون، 2 / 64.

(5) سورة الانفال : اية 11.

(6) تفسير الطبري: 9 / 193 – 194 تفسير القران العظيم 2 / 191–192.

(7) تاريخ العرب العسكري، ص84 .

(8) غالب بن عبد الله بن مسعر الكلبي الليثي: قائد، صحابي، من الولاة. بعثة النبي ﷺ سنة 5 هـ في ستين راكبا إلى "الكديد" فظفر. وأرسله سنة 8 ومعه مئتا مقاتل إلى "فدك" فعاد غانما. وبعثه عام الفتح ليسهل له الطريق إلى مكة ويكون "عينا " له. وشهد القادسية. وقتل هرمز ملك الباب. وولاه زياد ابن أبيه خراسان في زمن معاوية سنة 48. ينظر: الإصابة: ت 6906 وطبقات ابن سعد 2: 91 .

(9) (الكديد) بِفَتْحِ الْكَاف ودالين مهملتين أولاهما سَاكِنة مَا بَين قديد وَعُسْفَان على اثْنَيْنِ وَأَرْبَعين ميلًا من مَكَّة. مشارق الأنوار على صحاح الآثار: 1/ 351.

(10) تاريخ الطبري 3 / 27.

ينظرون الينا ما يقدر احد ان يتقدم وقدمنا المدينة"[1]

وفي رواية اخرى لابن هشام ان الله تعالى لم يبعث مطرا ولا سحابا وانما «ارسل الله تبارك وتعالى الوادي بالسيل من حيث شاء الله تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر، فجاء بشيء ليس لاحد به قوة ولا بقدر على ان يجاوزه، فوقفوا ينظرون الينا وانا لنسوق نعمهم، ما يستطيع منهم رجل ان يجيز الينا، ونحن نحدوها سراعا حتى فتناهم، فلم يقدروا على طلبنا»[2].

ومن خلال الجمع بين الروايتين من المؤكد ان القول ان الله تعالى بعث سحابا ثقالا احدث سيلا امتلأ منه الوادي سواء كان في المنطقة او خارجها فحال بين المسلمين وعدوهم ولولا ذلك، لكانت الدائرة على المسلمين لعدم تكافؤ القوى بين الفريقين، فذلك نصر الهي بتأثير الطبيعية وليس للسيف والرمح اثر فيه.

وقد ذكرت المصادر[3] سقوط الامطار في غزوات وسرايا لم تشير المصادر مقدار تأثيرها على سير المعارك، وبما ان المعارك قد وقعت في منطقة صحراوية فلا بد من انها قد تركت أثراً سلبياً او ايجابياً على نتائج المعارك للطرفين المتقاتلين.

ففي غزوة الحديبية سنة 6هـ/ 627م نزل رسول الله ﷺ في وادي قليل الماء، مما ادى بالمسلمين إلى ان يشكوا العطش إلى رسول الله ﷺ اذ ارسل الله تعالى السماء حتى كثرت المياه[4]، وفي غزوة غطفان 8هـ/ 629م مطر المسلمون وقد ذكر الواقدي ذلك (ان رسول الله ﷺ نزل بذي امر ناحية الخيل وعسكر بها يريد غطفان فاصاب المسلمين مطراً كثيراً..)[5]

(1) الكامل في التاريخ، 2 / 229 – 230 .
(2) السيرة النبوية، 4 / 611؛ طبقات ابن سعد، 2 / 125.
(3) المغازي، 1/ 195؛ وطبقات ابن سعد: 2 / 35.
(4) طبقات ابن سعد ، 2 / 96.
(5) المغازي: 1/ 195، كفاءة الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، 2/ 399.

المطلب الثاني
اتجاه الريح والشمس

حرص المقاتلة العرب على ان يكون اتجاه الشمس وهبوب الريح من وراء ظهورهم وكان الرسول ﷺ سباقا في استخدامها وطبق العرب هذه المبادئ في حروبهم ضد اعدائهم من بعده، ومن امثلة ذلك ما جرى في معركة بدر سنة 2هـ/ 624م فقد استقبل المصطفى ﷺ المغرب وجعل الشمس خلفه، واقبل المشركين فاستقبلوا الشمس[6] والريح، حيث كانت الرياح السائدة الصبا.

وفي غزوة احد سنة 3 هـ / 625م[7] «كانت الريح والدُولة للمسلمين في بادي الامر»[8] لالتزامهم بخطة الحبيب محمد ﷺ اذ نزل الرسول محمد ﷺ فاسند ظهره إلى جبل احد واستدبر الشمس[9]، اما قريش فقد استقبلوا الشمس، وكانت الريح اول المعركة صبا، مستقبلة وجوه المشركين لانها تهب من مطلع الشمس[10]، وقد ساعدت الريح على وصول سهام المسلمين الى اهدافها بدقة علاوة على ذلك تساعد على اعماء المقابل بالاتربة.

وقد اكد صاحب كتاب (مختصر سياسة الحروب) اهمية الريح واتجاه الشمس في ارض المعركة وقال «توخ ان تكون الريح والشمس من وراء ظهرك، فان لم يمكنك فاحرص على اخذ الريح بكل حيلة...»[11].

ولما اخل الرماة بوصية الرسول ﷺ وتركوا اماكنهم على الجبل (عينين) كرَّ المشركون عليهم من الخلف وانتفضت صفوفهم واستدارت رحاهم فبعد ان كانت الريح صبا صارت دبوراً[12].

(6) المغازي، 1 / 56؛ الفتوحات الإسلامية الكبرى، 12.
(7) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، 1 / 10.
(8) السيرة الحلبية، 1 / 42.
(9) المغازي ، 2 / 220.
(10) التنبيه والاشراف، ص16.
(11) مختصر سياسة الحروب، ص31 – 32.
(12) طبقات ابن سعد ، 2 / 42.

وفي حصار المدينة سنة 5هـ / 627م كان للريح اثر في حسم المعركة لصالح المسلمين وقد ذكر اثر تلك الريح في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾ [1] وقد فسر الطبري قوله تعالى «جنود الاحزاب قريش وغطفان ويهود بني النضير، وارسل الله عز وجل ريح الصبا عليهم في ليال باردة شديدة البرودة حتى كفأت قدورهم على افواهها ونزعت فساطيطهم ﴿**وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا**﴾ الملائكة[2] فكانت هذه الريح الربانية سببا لعدم ثبات جنود الاحزاب عند الخندق.

ويروي ابن هشام عن حذيفة بن اليمان الذي ارسله النبي محمد ﷺ يتجسس على القوم وما جرى لهم من اثر الريح على جيش المشركين فيقول "فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء"[3].

لقد قضى ابو سفيان وقتا طويلا امام الخندق، دون ان يستطيع اقتحامه واجتيازه، وكان الوقت شتاء شديد البرودة قاسيا ذا عواصف رملية ورياح هوجاء كفأت قدورهم وطرحت ابنيتهم وقلعت خيامهم فاضطر ابو سفيان إلى ان يخطب بقومه عندما يئس من تحقيق النصر على المسلمين قائلاً: «انكم والله ما اصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف... ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني مرتحل»[4]. فقد اثرت الريح تأثيرا مباشرا في عدم صمود جيش الاحزاب امام هذه الرياح الباردة والقوية التي ادت بالتالي الى انسحابهم مدحورين بسبب اهمالهم العوامل الطبيعية في معاركهم ففي هذه المعركة دام حصار المدينة (أربعاً وعشرين ليلة)[5] الى ان قدم الشتاء، فهبت الريح فزعزت قوات المشركين وارغمتهم على الرحيل، فكان انسحابهم بسبب الريح نصرا للمسلمين حيث قال ﷺ «نصرت بالصبا واهكلت عاد بالدبور»[7].

وفي سنة 6هـ / 629م غزا رسول الله ﷺ بني المصطلق[8] عندما علم بتجمعهم لقتاله، فقاتلهم حتى ظفر بهم، وقد اصيب هشام بن صبابة عندما خرج في طلب العدو في ريح شديدة حين لقيه رجل من رهط عباده بن الصامت فظن انه من العدو فقتله[9].

وكان ذلك بسبب الريح الشديدة ولربما كان مدى الرؤيا غير بعيد مما ادى الى عدم التعرف عليه فقتله.

المطلب الثالث

الجفاف

وردت هذه اللفظة بمعاني عديدة تبين مدلولاتها كافة على انها لها اثار سلبية على الانسان لما تخلفه من ازمات اقتصادية وشحة في الغلات وزيادة في الاسعار ومن معانيها انها تعني الجدب، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾[10].

ودعا الرسول محمد ﷺ على قريش عندما ازداد اذاهم المسلمين فقال «اللهم اعني عليهم بسني كسني

(1) سورة الاحزاب : آية 9 .
(2) تفسير الطبري ، 11 / 128–126.
(3) السيرة النبوية، 3 / 232؛ طبقات ابن سعد ، 2 / 69؛ تاريخ الطبري، 2 / 580؛ الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول ﷺ والثلاثة الخلفاء، 3/ 217.
(4) السيرة النبوية، 3 / 232؛ طبقات ابن سعد، 2 / 69؛ تاريخ الطبري 3 / 580؛ الدرر في اختصار المغازي والسير، 177/ 1؛ الروض الانف 6 / 281؛ العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ، ص186 .
(5) طبقات ابن سعد ، 2 / 73.
(7) صحيح مسلم، 2/ 617.
(8) المغازي، 2 / 604؛ تاريخ الطبري ، 2 / 604.
(9) المغازي، 1 / 407 – 408؛ سيرة ابن هشام، 3/ 290؛ تاريخ الطبري، 2 / 604.
(10) سورة الاعراف : الآية 130.

يوسف»[1] والسنة هنا تعني الجدب «... تنقطع فيها الامطار وتؤدي الى هزل الحيوان وموته وثبات الغلاء وقلة الاطعمة وتصرم المياه في الاودية والآبار»[2]، ومعظم الاماكن التي تتعرض للجفاف هي المناطق البعيد من مجاري الانهار اذ تعتمد في زارعة محاصيلها على مياه الامطار وقد اورد ياقوت على لسان الجاحظ ان اهل البصرة لا يخافون الجدب بسبب موقع مدينتهم على النهر وعلى ساحل البحر[3].

ومن دراسة اثر العوامل الجغرافية على الفتوحات الإسلامية ظهر لنا عدد من حالات الجفاف في الجزيرة العربية اثرت على سير المعارك العسكرية.

ففي سنة 4هـ / 626م خرج ابو سفيان لطلب الرسول محمد ﷺ ببدر القتال[4] وعندما انتهى إلى مجنة وهي مر الظهران[5] رجع إلى مكة المكرمة وقال لاصحابه ﷺ انه لا يصلحكم الا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب واني راجع فارجعوا»[6].

وفي سنة 13هـ - 634م عندما تجمعت الجيوش الاسلامية في المدينة المنورة لتحرير بلاد الشام تقدم سادات القبائل الى الخليفة ابي بكر الصديق ﷺ وقالوا له «انك امرتنا بامر فاسرعنا لله ولك رغبة في الجهاد، وقد تكامل جيشنا وفرغنا من اهبتنا والمقام قد اضربنا لان بلدك ليس بلد جيش ولا حافر...»[7]، ومما يبدو مما تقدم ان المناطق التي تصاب بالجدب يهجرها سكانها الى المناطق القريبة من الانهار، وربما يتوقف فيها القتال لان ذلك يتطلب توفير مواد غذائية وامدادات للجيش، حيث لا تستطيع المناطق المجدبة توفير ذلك.

وفي سنة 18هـ - 639م اصاب الناس في المدينة المنورة والحجاز[8] مجاعة شديدة[9]، وذلك بسبب انحباس الامطار[10] وكانت الريح تسفي ترابا كالرماد فسمي عام الرماده[11].

ومن اثار القحط الذي اصاب الانسان والحيوان في المدينة المنورة وما حولها من شدة الجوع «حتى جعلت الوحوش تأوي الى الانس وحتى الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها وانه لمقفر»[12].

وقد تميزت اجراءات الدولة للحد من اثار المجاعة بعاملين اساسيين:

الاول: الاستغاثة بامراء الاجناد في الشام ومصر والعراق.

والثاني: صلاة الاستسقاء وكان الهدف من ذلك هو التخفيف من اثر المجاعة التي اصابت الناس في الحجاز[13].

فقد استغاث الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بامراء الاجناد وولات الانصار وقال «اغيثوا اهل المدينة وما حولها»[14] فكان اول من قدم عليه القائد ابو عبيدة عامر بن الجراح ﷺ باربعة الاف راحلة من طعام فولاه

(1) النهاية في غريب الحديث والاثر، 29.
(2) صفة جزيرة العرب، ص 33.
(3) معجم البلدان 2 / 347.
(4) طبقات ابن سعد، 2/ 59؛ تاريخ الطبري 3/ 559.
(5) مر الظهران: هُوَ وَادٍ بَيْنَ مَكَّةَ وعُسْفَان. واسمُ القَرْية المُضَافَةِ إِلَيْهِ: مَرٌّ، بِفَتْحِ المِيم وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ. النهاية في غريب الحديث والأثر: 3/ 167.
(6) الثقات ، 1 / 244.
(7) فتوح الشام ، 1 / 9.
(8) تاريخ خليفة بن خياط، 1 / 109؛ تاريخ الخلفاء، ص130 - 131.
(9) المختصر في أخبار البشر ، 1 / 163؛ مختصر التاريخ من اول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، ص96 .
(10) البداية والنهاية ، 7 / 92.
(11) تاريخ الطبري، 4/ 98؛ الكامل، 2 / 555؛ معجم البلدان 4 / 419؛ ذخائر العقبى في مناقب ذي القربى، 1 / 200 ؛ المدهش ، ص70 .
(12) تاريخ الطبري، 4 / 98؛ المدهش ص70 ؛ الكامل 2 / 555.
(13) تاريخ ابن الوردي، 1 / 198.
(14) تاريخ الطبري، 4 / 99؛ الكامل، 2 / 556.

الخليفة عمر ﷺ قسمتها في من حول المدينة المنورة[1].

وكتب الخليفة عمر ﷺ الى والي مصر عمرو بن العاص ﷺ يشكوا اليه قحط الحجاز وما بالمسلمين فيه من شدة، فاجابه والي مصر وقال «لامدنك بعير طعام اوله عندي وآخره عندك»[2]، فاصبح سعر الطعام في المدينة المنورة كسعره في مصر[3]. ويذكر ابن كثير ان حالة القحط استمرت مدة تسعة اشهر[4].

اما الاجراء الثاني الذي قامت بهه الدولة فهو «صلاة الاستقساء» للحد من آثار الجفاف.

ومعلوم انها من الاجراءات الاسلامية المألوفة في هذه الأزمات إذ هي سنّة عن النبي محمد ﷺ فقد استسقى عدة مرات[5].

وقد صلى المسلمون صلاة الاستقساء في عام الرماده 18 هـ 639 اذ خرج عمر بن الخطاب ﷺ بالمسلمين لاداء صلاة الاستقساء ومعه العباس بن عبد المطلب فصلى، وقال: «اللهم عجزت عنا انصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا انفسنا ولا حول ولا قوة الا بك، اللهم فاسقنا، وأحيي العباد والبلاد»[6].

وفي رواية اخرى انه ﷺ اخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم النبي محمد ﷺ وقال «اللهم اننا نتقرب اليك بعم نبيك ﷺ ، وبقية آبائه، واكبر رجاله، فانك تقول – وقولك الحق: ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ**﴾[7]، فحفظتهما بصلاح آبائهما ، فاحفظ اللهم نبيك ﷺ في عمه»[8].

(1) تاريخ ابن الوردي، 1/ 198، المختصر في اخبار البشر ، 1 / 163.
(2) مآثر الانافة في معالم الخلافة، 1 / 91 – 92.
(3) مآثر الانافة في معالم الخلافة، 1 / 91 – 92.
(4) البداية والنهاية، 7 / 92.
(5) صحيح البخاري ، 1/ 288.
(6) تاريخ الطبري، 4 / 99 – 100؛ الكامل، 2 / 557؛ نهاية الارب في فنون الأدب، 352/ 19.
(7) سورة الكهف، الآية 82.
(8) الكامل 2 / 557، نهاية الارب، 19 / 352.

وذكر ابن كثير: ان عمر بن الخطاب ﷺ خرج يستسقي وخرج العباس معه فقال «اللهم انا كنا اذا قحطنا على عهد نبيك توسلنا اليك بنبينا، وانا نتوسل اليك بعم نبينا»[9] فما بلغوا المنزل راجعين حتى فاضت الغدران وفي هذا قال الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب.

بعمي سقى الله الحجاز واهله
عشية يستسقى بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا
اليه، فما ان رام حتى اتى المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه
فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر[10]

المطلب الرابع
مياه الآبار

كان لمياه الآبار اثر في سير المعارك العسكرية التي وقعت في شبه الجزيرة العربية تلك البقعة التي تنعدم فيها مياه الانهار، اذ تكون الحاجة الى المياه بشكل كبير وذلك بسبب سقي الجند والخيل والابل، فضلاً عن ذلك ان السيطرة على مصادر المياه تعزز نتيجة المعركة لصالح الطرف المسيطر عليها وهذا ما حصل في غزوة بدر سنة 2هـ / 624م عندما تحرك الرسول ﷺ من المدينة إلى ارض المعركة[11]، متخذاً منزلا بعيدا عن الماء في بادئ الامر الا ان الرسول محمد ﷺ لم يكن مطمئنا الى صلاح المكان لنزول جيش المسلمين ولذا استشار الرسول محمد ﷺ الصحابة في الموضع الذي اختاره، فأشار عليه الحباب بن المنذر بن الجموح، بعدم البقاء

(9) البداية والنهاية، 7 / 94، التحفة اللطيفة في اخبار المدينة الشريفة، 2 / 14.
(10) نهاية الارب، 19 / 353 .
(11) السيرة النبوية ، 1 / 613 – 614؛ الطبقات ، 2 / 15 ؛ تاريخ الطبري، 433 – 435؛ الأغاني ، 4 / 187.

في الموضع الذي نزل فيه لبعده عن الماء إذ روي في ذلك قول رسول الله محمد ﷺ : «اشيروا علي في المنزل، فقال له الحباب بن المنذر بن الجموح يا رسول الله أرايت هذا المنزل، أمنزل انزلك الله ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه ام هو الرأي والحرب والمكيدة؟، قال بل هو الراي والحرب والمكيدة قال : فان هذا ليس بمنزل ! انطلق بنا إلى ادنى ماء من القوم، فاني عليم بها وبقلبها بها قليب قد عرفت عذوبة مائه، وماؤه كثير ل اينزح ثم نبني عليها حوضاً ونقذف فيه الآنية فنشرب ونقاتل ونغور ما سواها من القُلب»[1].

واخذ الرسول محمد ﷺ برأي الحباب بن المنذر، فضلاً عن ذلك ان هناك رواية لابن سعد تذكر ان جبريل عليه السلام بلغ الرسول ﷺ ان يأخذ برأي الحباب ففعل رسول الله ﷺ ذلك «الراي ما اشار به الحباب»[2].

ويصف الطبري، اجراءات الرسول ﷺ الفعلية بحسب ما جاء به جبريل عليه السلام وما أشار به الحباب بن المنذر «فسار حتى اتى ادنى ماء من القوم فنزل عليه ثم امر بالقلب فعُورت، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملئ ماء، ثم قذفوا فيه الآنية[3]». وقد حدد ابن كثير زمن نزول المسلمين على البئر الذي يلي المشركين «بنصف الليل وانهم نزلوا فيه واستقوا منه وملئوا الحياض حتى اصبحت ملئ وليس للمشركين ماء»[4]. وقد حدد الطبري موقع البئر الذي نزل عليه الرسول محمد ﷺ حيث قال «والقلب ببدر في العدوة الدنيا من بطن يليل الى المدينة»[5].

وهو المكان الذي نزل فيه الرسول ﷺ فكان لتغوير الآبار اثر في ارباك قوات المشركين لما اصابهم من العطش بسبب سيطرة المسلمين على آبار المياه مما ادى الى اضطراب احوال المشركين وارباك صفوفهم كما وصفه الطبري قائلا. «وقد خرج الاسود بن عبد الاسد المخزومي وكان رجلا شرسا سيئ الخلق، فقال : اعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه أو لأموتن دونه فلما خرج، خرج له حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة، فاطنّ قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو اصحابه، ثم حبا الى الحوض ... واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض»[6].

ويقول ابن هشام إذ يقول «اقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض النبي محمد ﷺ فيهم حكيم بن حزام، فقال رسول الله ﷺ: دعوهم فما شرب منه رجل الا قتل»[7].

ومن هذا نفهم ان اجراءات الرسول ﷺ منعت المشركين من الوصول الى آبار بدر والشرب منها والسيطرة عليها مما يثبت صحة استخدام الرسول ﷺ موارد الطبيعة في تحقيق النصر على الاعداء.

الخاتمة

وبعد هذا العرض للعوامل الجغرافية التي تركت آثارها في الفتوح الاسلامية، يحسن بنا إجمال النتائج التي خرج بها البحث وهي كالآتي:

- إن للعوامل المناخية أثرا كبيرا في الفتوحات الإسلامية في جبهة الجزيرة العربية في العصر النبوي وعصر

(1) المغازي ، 1 / 53 – 54؛ السيرة النبوية، 2 / 625؛ الطبقات، 2 / 15 ؛ تاريخ الطبري ، 440/ 2؛ الدرر في اختصار المغازي والسير ص113، ؛ الكامل ، 2 / 122 ؛ البداية والنهاية، 3/ –266 267؛ ايام العرب في الاسلام، ص16 – 17؛ الشورى العسكرية، ص25 – 26.
(2) الطبقات، 2/ 15.
(3) تأريخ الطبري، 2 / 440.
(4) البداية والنهاية، 3 / 267.
(5) تاريخ الطبري، 2 / 439.
(6) تاريخ الطبري، 2 / 445؛ الكامل، 2 / 124؛ الثقات، 1/ 166.
(7) السيرة النبوية 2 / 622.

الخلفاء الراشدين.

- إن للمياه أهمية كبيرة في حياة الإنسان، فهي من ضروريات العيش، وحفظ النفس من مقاصد الشريعة الإسلامية، ولقد كان النبي ﷺ – وخلفاؤه من بعده ﷺ يهتمون بمصادر المياه؛ كونها عنصرا أساسيا في الحياة.
- لقد ثبت من خلال البحث والاستقصاء أن النبي محمد ﷺ كان حريصاً على التنبّه لوجهة الريح واتجاه الشمس وان تكون في وجه العدو وظهور المسلمين، وخير دليل على ذلك معركة بدر، إذ استقبل الرسول محمد ﷺ المغرب وجعل الشمس خلف ظهره. وقد اقتدى به القادة المسلمون من بعده، مثال ذلك في معركة القادسية.
- كان النبي محمد ﷺ على علم ويقين أن لهذه العوامل الجغرافية أثرا في المعارك وانها لم تكن اعتباطاً وانما بتسخير الله عزّ وجلّ، ويمكن أن تتمثل حقيقة ذلك في قوله ﷺ «نُصرتُ بالصبا وأُهكلت عاد بالدبور».
- قاتل العرب المسلمون أعداءهم في ظروف جوية مختلفة كسقوط الأمطار والثلوج والبَرَد وكان الانتصار للعرب على اعدائهم.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

1. ابن الاثير: مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطناخي وآخرون/ ط2، دار الفكر، 1399 هـ – 1979م (بلا مكان).
2. اين الاثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيرت، 1385 ، 1965).
3. ابن الجوزي جمال الدين بن علي بن محمد، المدهش، تصحيح وتعليق الدكتور مروان قباني دار الكتب العلمية (بيروت بلا ت).
4. ابن الكارزوني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق مصطفى جواد وضع فهارسه سالم الآلوسي، (مط بغداد 1390 هـ – 1970م).
5. ابن الوردي، زين الدين بن عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي/ ط 2 مط الحيدرية (النجف 1969).
6. ابن حيان: محمد ابن حيان بن أحمد البستي، الثقات، تحقيق شرف الدين أحمد، دار الفكر، (بيروت، بلا مكان 1395 هـ – 1975م).
7. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى دار صادر (بيروت بلا ت).
8. ابن عبد البر الرطيب، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف دار المعارف (القاهرة، 1403).
9. ابن كثير اسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، (بيروت، 1401).
10. ابن كثير: الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ط 5 تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، (بيروت 1409 هـ – 1988م).
11. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار الفكر، (بيروت، 1960).
12. أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل، المختصر في أخبار البشر مط الحسينية (بلا ت ومكان).
13. أبو سعيد الشعراني، مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون (القاهرة، بلا ت).
14. الأصفهاني، أبو فرج علي بن الحسن، الأغاني، تحقيق سمير جابر (دار الفكر 1986 بلا مكان).
15. البخاري، أبو عبد الله بن اسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، دار الفكر (بيروت).

16. جون جوت غلوب، الفتوحات الإسلامية الكبرى، تعريب وتعليق خيري حماد، مكتبة المثنى (بغداد بلا ت) .
17. الحلبي: علي برهان الدين، السيرة الحلبية المعروفة بانسان العيون في سيرة الأمين والمأمون، مط الاستقامة، القهرة، 1382 هـ - 1962 م .
18. الحنبلي، أبو الفلاح بن عبد الحي بن عماد، ذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، دار الكتب العلمية، (بيروت، بلا ت) .
19. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمر، مط الآداب (النجف 1386 هـ - 1967 م) .
20. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة (القاهرة 1385 هـ - 1966 م) .
21. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مط المدني، بلا مكان 1383 هـ - 1964 م .
22. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، كفاءة الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1985 م) .
23. شمس الدين السخاوي، التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة، (بيروت، 1993 م) .
24. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 4 دار المعارف (القاهرة ، 1969 م) .
25. الطبري، جامع البيان والحكم عن تأويل آي القرآن ، ط 3 (مط مصطفى البابي وأولاده) .
26. القلقشندي، أحمد بن عبد الله ، مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمدر فراج، عالم الكتب (بيروت بلا ت) .
27. الكلاعي، ابن الربيع سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد كمال الدين، عالم الكتب (بيروت 1997م) .
28. محب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى في مناقب ذي القربى، تحقيق، شعيب الارناؤوط، دار الكتب المصرية (القاهرة 1407 هـ، 1986 م) .
29. محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، أيام العرب في الإسلام ، ط 2 ، (بيروت 1961 م) .
30. محمد فرج، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ ، (دار الفكر 1958 م) .
31. محمود الدرة: تاريخ العرب العسكري، دار الكتاب العربي (بيروت 1964 م) .
32. محمود شيت خطاب، الشورى العسكرية، مط المجمع العلمي العراقي 1990 م .
33. مسلم، أبو الحسين بن مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق وتصحيح وترقيم، محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر، بلا ت .
34. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مط الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة 1975 م) .
35. الهمذاني، حسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي حسين الاكوع، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد ، 1989 م) .
36. الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر، المغازي، تحقيق مارسدس جونس مط (جامعة أكسفورد) .
37. الواقدي، فتوح الشام قدم له عمر أبو النصر، المكتبة الأهلية (بيروت 1969 م) .